

المرجع اليعقوبي : الإمام الرضا (عليه السلام) في مواجهة الانشقاق الداخلي[1]



المرجع اليعقوبي : الإمام الرضا (عليه السلام) في مواجهة الانشقاق الداخلي[1]

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

في ذكرى الإمام أبي الحسن الرضا (عليه السلام) نشير إلى صفحة من سفر حياته المباركة آلمت قلبه الشريف واستنزفت الكثير من وقته وجهده الثمينين، وهي الفتنة التي قادها جملة من رموز أصحاب أبيه الإمام الكاظم (عليه السلام) المؤثرين في اتباع أهل البيت (عليهم السلام) مما أدى إلى انشقاق داخل

الكيان الشريف ونشوء فرقة ضمت عدداً كبيراً من حملة علم أهل البيت (عليهم السلام) عبر أكثر من جيل سُموا بالواقفة، لا لسبب إلا الطمع في الدنيا وحطامها الزائل وعناوينها الزائفة وجاهها الخادع.

روي عن يونس بن عبد الرحمن -وهو من كبار أصحاب الإمامين الكاظم والرضا (عليهما السلام) والفقهاء الأجلاء- قال: (مات أبو الحسن (عليه السلام) وليس من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير فكان ذلك سبب ووقوفهم وجحودهم موته طمعاً في الأموال، كان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار). [2]

قال الشيخ الطوسي (قده) في الكلام عن الواقفة (أول من أظهر هذا الاعتقاد علي بن أبي حمزة البطائني وزياد بن مروان القندي وعثمان بن عيسى الرؤاسي، طمعوا في الدنيا، ومالوا إلى حطامها واستمالوا قوماً فبذلوا لهم شيئاً مما اختانوه من الأموال) وممن بذلوا له يونس بن عبد الرحمن حيث اطمعوه بمبلغ ضخم جداً وهو عشرة آلاف دينار إلا أنه رفض مفارقة الإمام الحق.

وكان الإمام الكاظم (عليه السلام) يقرأ في سلوك ابن أبي حمزة حبّه للدنيا، وتزلفه إلى الإمام (عليه السلام) ليكون له جاه يخدع به الناس، فقد كان يلزم أبا بصير -وهو من كبار أصحاب الإمامين الباقر والصادق وأدرك إمامة الكاظم (عليهم السلام) - ويقوده لأنه كان كيف البصر، وينقل عنه علوم أهل البيت (عليهم السلام) لذا أخذ عن البطائني كبار الأصحاب لأنهم يجدون عنده ما لا يجدون عند غيره لطول ملازمته، لكن الإمام الكاظم (عليه السلام) كان يشبهه منذ ذلك الوقت المبكر بأنّه كالحمار مطبقاً عليه قوله تعالى في سورة الجمعة (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ وَرَأَوْا تَحْمِيلَهَا وَهُمْ أَلَمُوا لَمْ يُحْمَلْ بِهِمْ بَلْ هُمْ كَالْحَمِيرِ) إشارة إلى أن ابن أبي حمزة يحمل علماً جماً إلا أنه لم يستفد منه، ووقع فيما وقع فيه، روى أبو داود المسترق قال: (كنت أنا وعيينة بياع القصب عند علي بن أبي حمزة، فسمعتة يقول: قال لي أبو الحسن موسى (عليه السلام) إنما أنت يا علي وأصحابك أشباه الحمير، قال: فقال عيينة أسمعته؟ قال: قلت أي وا قال: فقال: لقد سمعت وا لا أنقل قدمي إليه ما حييت).

وكان الإمام الرضا (عليه السلام) لا يتوقف عن إظهار ألمه لحصول هذا الانحراف لدى اتباعه والتنديد به وبأهله، فعن محمد بن سنان قال (ذكر علي بن أبي حمزة عند الرضا (عليه السلام) فلعنه ثم قال: إن علي بن أبي حمزة أراد أن لا يعبد الله في سمائه وأرضه فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون ولو كره اللعين المشرك، قلت المشرك؟ قال نعم والله وإن رغم انفه كذلك هو في كتاب الله يريدون أن يطفئوا نور الله وقد جرت فيه وفي أمثاله أنه أراد أن يطفئوا نور الله..).

وعن يونس بن عبد الرحمن قال: (دخلت على الرضا (عليه السلام) فقال لي: مات علي بن أبي حمزة؟ قلت نعم، قال: قد دخل النار! قال: ففزعت من ذلك! قال: أما إنه سئل عن الإمام بعد موسى أبي فقال: لا أعرف إماماً بعده!! فقيل لا؟! ف ضرب في قبره ضربة اشتعل قبره ناراً..).

لكن الإمام (عليه السلام) كان يستغرب في نفس الوقت من الذين انخدعوا بهذه الدعوة الفاسدة أو أصابهم التشكيك والتردد مع وضوح ضلالها وكذب ادعاءاته، روى محمد بن الفضيل عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (سمعتة يقول في ابن أبي حمزة: أما استبان لكم كذبه؟ أليس هو الذي يروي أن رأس المهدي يُهدى إلى عيسى بن موسى وهو صاحب السفيا ني؟

وقال: إن أبا الحسن -يعني أباه الكاظم (عليه السلام) يعود إلى ثمانية أشهر؟! ولم يحصل شيء من ذلك، بينما كان الإمام (عليه السلام) يقيم لهم البيئات ويخبرهم بالمغيبات التي يثبت صدقها كإخباره بأن هارون العباسي لا يمسه سوء.

وكان (عليه السلام) يصبّر شيعته ويقوي عزمهم ليثبتوا على الصراط المستقيم، وأن لا تستفزه تلك

الحركات وأن يقابلوها بالحكمة والموعظة الحسنة والحوار المبني على الدليل، روى محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا قال: (قلت: جعلت فداك إني خلفت ابن أبي حمزة وابن مهران وابن أبي سعيد أشد أهل الدنيا عداوة لك!! فقال لي: ما ضرك من ضل إذا اهديت انهم كذبوا رسول الله صلى الله عليه وآله) وكذبوا أمير المؤمنين (عليه السلام) وكذبوا فلاناً وفلاناً وكذبوا جعفرًا وموسى عليهم السلام، ولي بآبائي عليهم السلام اسوة قلت جعلت فداك إنا نروي أنك قلت لابن مهران: اذهب الله نور قلبك وادخل الفقر بيتك؟ فقال: كيف حاله وحال بنيه؟ فقلت

: يا سيدي أشد حال، هم مكرويون ببغداد لم يقدر الحسين أن يخرج إلى العمرة فسكت) وإنما سكت لأنّه (عليه السلام) لم يكن يحب أن يراهم بهذا الحال.

وقال (عليه السلام) (إنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جهد الناس في إطفاء نور الله فأبى الله إلا أن يتم نوره بأمر المؤمنين (عليه السلام) فلما توفي أبو الحسن عليه السلام جهد علي بن أبي حمزة في إطفاء نور الله فأبى الله إلا أن يتم نوره. وإن أهل الحق إذا دخل فيهم داخل سورا به وإذا خرج منهم خارج لم يجزعوا عليه وذلك انهم على يقين من أمرهم وإن أهل الباطل إذا دخل فيهم داخل سورا به [3] وإذا خرج منهم خارج جزعوا عليه وذلك انهم على شك من أمرهم إن الله جل جلاله يقول: (فمستقر ومستودع) قال: ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام): المستقر الثابت والمستودع المعار).

وبقي الإمام (عليه السلام) يحاور أولئك المنحرفين ويقيم عليهم الحجج الدامغة انطلاقاً من مسؤوليته في هداية الخلق جميعاً والأخذ بأيديهم إلى ما يسعدهم في الدنيا والآخرة، خصوصاً إذا كانوا من داخل الكيان الموالي لأهل البيت (عليهم السلام) لأن الخطر عندما ينطلق من الداخل يكون أشد فتكاً في بناء الأمة وقد نجح (عليه السلام) في إرجاع كثيرين إلى جادة الصواب.

روى أحد أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) قال: كنت عند الرضا عليه السلام فدخل عليه علي بن أبي حمزة، وابن السراج، وابن المكارى، فقال له ابن أبي حمزة: ما فعل أبوك؟ قال: مضى، قال: مضى موتاً؟ قال: نعم، قال: إلى من عهد؟ فقال: إلى، قال: فأنت إمام مفترض الطاعة من اللّاه؟ قال: نعم، قال ابن السراج وابن المكارى: قد واللّاه أمكنك من نفسه، قال: ويلك وبما أمكنت، أتريد أن آتي بغداد وأقول لهارون أنا إمام مفترض الطاعة، واللّاه ما ذلك عليّ وإنّما قلت ذلك لكم عندما بلغني من اختلاف كلمتكم وتشتّت أمركم لئلاّ يصير سرّكم في يد عدوكم، قال له ابن أبي حمزة: لقد أظهرت شيئاً ما كان يظهره أحد من آبائك ولا يتكلّم به، قال: بلى لقد تكلامّ خير آباي رسول اللّاه صلّى اللّاه عليه وآله لمّا أمره اللّاه تعالى أن ينذر عشيرته الأقربين، جمع من أهل بيته أربعين رجلاً وقال لهم: أنا رسول اللّاه إليكم، فكان أشدّهم تكذيباً له وتأليباً عليه عمّه أبو لهب، فقال لهم النبيّ صلّى اللّاه عليه وآله: إن خدشني خدش فلست بنبي، فهذا أوّل ما أبدع لكم من آية النبوة، وأنا أقول: إن خدشني هارون خدشاً فلست بإمام فهذا أوّل ما أبدع لكم من آية الإمامة، فقال له عليّ: إنّنا روينا عن آبائك أنّ الإمام لا يلي أمره إلاّ أمام مثله، فقال له أبو الحسن عليه السلام: فأخبرني عن الحسين بن عليّ عليهما السلام، كان إماماً أو كان غير إمام؟ قال: كان إماماً، قال: فمن ولي أمره؟ قال: علي بن الحسين، قال: وأين كان علي بن الحسين عليه السلام؟ قال: كان محبوساً في يد عبيد اللّاه بن زياد في الكوفة، قال: خرج وهم كانوا لا يعلمون حتى وليّ أمر أبيه ثم انصرف، فقال له أبو الحسن عليه السلام: إنّ هذا الذي أمكن علي بن الحسين عليه السلام أن يأتي كربلاء فيلي أمر أبيه فهو أمكن صاحب هذا الأمر أن يأتي بغداد فيلي أمر أبيه ثم ينصرف، وليس في حبس ولا في إساءة، قال له عليّ: إنّنا روينا أنّ الإمام لا يمضي حتى يرى عقبه [4]، قال: فقال أبو الحسن عليه السلام: أما رويتم في هذا الحديث غير هذا؟ قال: لا، قال: بلى واللّاه لقد رويتم إلاّ القائم وأنتم لا تدرون ما معناه ولم قيل، قال له عليّ: بلى واللّاه إنّ هذا لفي الحديث، قال له أبو الحسن عليه السلام: ويلك كيف اجترأت على شدّء تدع بعضه، ثم قال: يا شيخ اتّق اللّاه ولا تكن من الصّاديين عن دين اللّاه تعالى).

وروى الشيخ الصدوق (قدس سره) بسنده عن أبي مسروق قال: (دخل على الرضا عليه السلام جماعة من الواقفة فيهم علي بن أبي حمزة البطائني، ومحمد بن إسحاق بن عمّار، والحسين بن مهران، والحسن بن أبي سعيد المكارى، فقال له علي بن أبي حمزة جعلت فداك أخبرنا عن أبيك عليه السلام ما حاله، فقال له: إنه قد مضى، فقال له: فإلى من عهد؟ فقال إلىّ: فقال له: إنّك لتقول قولاً ما قاله أحد من آبائك علي بن أبي طالب عليه السلام فمن دونه، قال: لكن قد قاله خير آباي وأفضلهم رسول اللّاه صلّى اللّاه عليه وآله، فقال له: أما تخاف هؤلاء على نفسك؟ فقال: لو خفت عليها كنت عليها معيناً [5]، إنّ

رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله أتاه أبو لهب فتهدّد به، فقال له رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله: إن خدشت من قبلك خدشة فأنا كذّاب، فكانت أوّل آية أنزع نزع بها رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلم، وهي أوّل آية لكم إن خدشت خدشة من قبل هارون فأنا كذّاب، فقال له الحسن بن مهران: قد أتانا ما نطلب أن أظهرت هذا القول، قال: فتريد ماذا؟ أتريد أن أذهب إلى هارون فأقول له: إنّي إمام وأنت لست في شيء، ليس هكذا صنع رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلم في أوّل أمره، إنّما قال ذلك لاهله ومواليه ومن يثق به، فقد خصّهم به دون الناس، وأنتم تعتقدون الامامة لمن كان قبلي من آبائي، ولا تقول

ون إنه إنّما يمنع علي بن موسى أن يخبر أن أباه حيّ تقيّة، فإنّي لا أتقيكم في أن أقول: إنّي إمام فكيف أتقيكم في أن أدعي أنه حيّ لو كان حيّاً).

هذا ما حصل في زمان الإمام الرضا (عليه السلام) بعد رحيل سلفه الإمام الكاظم (عليه السلام) وحصل مع أجداده من قبل، وفي كل زمان، ما دامت النفوس الأمّارة بالسوء المحبة للدنيا الزائلة الزائفة والطموحة إلى تقمّص هذه المواقع المقدسة (وَمَا مُجَمِّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدَّ خَلَاتٌ مِّن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّسَّتْ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران/144). وقد قلنا في كلمة سابقة ان الله تعالى عندما يخاطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بوصفه رسولاً -كقوله تعالى يا أيها الرسول بلغ- فإنها ليست خاصة بشخصه الشريف وإنما هي سنة إلهية ترتبط بموقعه المبارك.

[1] كلمة ألقاها سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) ضمن بحثه الشريف يوم 11/ذق/1432 المصادف 10/10/2011 في ذكرى ميلاد الإمام الرضا (عليه السلام).

[2] الروايات المذكورة كلها أوردها الكشي في رجاله والشيخ الطوسي (قده) وغيرهما ، وقد جمعها من مصادرها السيد الخوئي (قده) في معجم رجال الحديث: 11/229-241.

[3] فرق سماحته بين سرور أهل الحق وأهل الباطل في الغرض، فإن الأول نابع من حبهم الخير والهداية لكل الخلق، أما الثاني فلاغترارهم بكثرتهم وشكهم في أمرهم فيجعلون التحاق الغير بهم دليلاً على سلامة موقفهم.

[4] ولد الإمام الجواد (عليه السلام) لأبيه الرضا (عليه السلام) بعد أن تجاوز السادسة والأربعين من عمره الشريف ممن وفّر فرصة لأصحاب الفتن ليثيروا هذه الإشكالات.

[5] شرح سماحته وجهاً لهذه الفقرة في كتاب (دور الأئمة في الحياة الإسلامية)